
دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

ابن بركة و المغرب من خلال النضال ضد الديكتاتورية في إسبانيا[1]

برنابي لوبيز غارسيا[2]
ترجمة، حميد فرحي[3]

يجب علي القول بأنه عندما راودتني، للمرة الأولى، فكرة البحث في العلاقة التي يمكن أن تكون بين اليسار الإسباني المناهض للفرنكوية وبين الوطنية التقدمية المغربية، كان حافزي هو إحساس بالألم عند قراءة التقرير القنصلي لسنة 1959، والذي أشار إلى تواطؤ حكومة عبد الله إبراهيم في تفكيك المؤسسات "المدنية الثقافية" «civicoculturelles» التي ينشط فيها الجمهوريون الإسبان بالدار البيضاء. فكون

[1]- ألقيت هذه المحاضرة ضمن أشغال ندوة: ***"المهدي بن بركة، من استقلال المغرب الى مؤتمر القارات الثلاث"***، المنعقدة بجامعة باريس 8، في سان دونيس، والمنظمة من طرف "معهد المغارب-أوربا" (l'Institut Maghreb-Europe) ومجلة "بوليتيس"(Politis)، بتاريخ 17-18 نونبر 1995، بمناسبة "الذكرى الثلاثين لاختطاف المهدي بن بركة، الزعيم الوطني و في العالم الثالث"؛ والتي تم نشرها في كتاب:
"**Mehdi Ben Barka,De l'indépendance marocaine à la Tricontinentale**",sous la direction de René Gallissot et Jacques Kergoat, Editions EDDIF,Casablanca ,1997
ضمن الجزء الثاني، المعنون بـ: "بن بركة الوطني و الأممي: المغارب، و العالم العربي ومؤتمر القارات الثلاث"، ص 151-164.

[2]- أستاذ تاريخ الإسلام المعاصر في جامعة مدريد المُستقلة؛ من مواليد غرناطة سنة 1948؛ عمل كأستاذ بجامعة فاس ما بين سنتي 1974-1988، وقد نشر العديد من المقالات حول العلاقات المغربية الإسبانية، وحول العمليات الانتخابية في المغرب، وحول الهجرة والديبلوماسية في العالم المتوسطي.

[3]- باحث، كلية الآداب - عين الشق - الدار البيضاء

حكومة تقدمية، مثل حكومة عبد الله إبراهيم تسهل القمع السياسي للمنفيين الإسبان، جعلني أشعر باستياء كبير.

وفي سياق أبحاثي وضمن أشياء أخرى كثيرة، عثرت على هذا التقرير ضمن أرشيفات وزارة الشؤون الخارجية الإسبانية، بمناسبة البحث في موضوع آخر[4]. في حين فسحت لنا هذه الندوة حول ابن بركة المجال للتعمق في مسألة التقدمية المغربية وعلاقاتها بإسبانيا. وأثارت لدينا على الفور مسألة الارتباط والعلاقات الحقيقية والوقعية ما بين القوى السياسية الإسبانية وبين نظيرتها المغربية.

فقد عانى اليسار الإسباني المحكوم عليه بالمنفى من قبل الجنرال فرانكو، من ظروف خاصة ومن أوضاع صعبة، حيث عاش مشتتا وبالتالي معزولا في العديد من الدول التي من بينها بلاد المغارب، دون أن يستطيع الحصول على حقوقه الدنيا على المستوى النقابي والسياسي، مع بعض الاستثناء في بعض الأماكن كأمريكا اللاتينية، عكس ما استطاع اليسار الفرنسي، على سبيل المثال، القيام به في الدول المستعمرة، هذه الظروف الخاصة ساهمت في إبعاد وتهميش القوى المحلية.

كان هذا التهميش واضحا في المغرب، بالمنطقة الفرنسية التي عاش بها خمسون ألف إسباني إلى حين الاستقلال، لكن ذلك التهميش كان أعمق في المنطقة الشمالية، المستعمرة من طرف إسبانيا نفسها، مجال اتساع القمع الفرانكوي.

هذه الأوضاع، التي أُضيف إليها بدون شك انخفاض التفاهم المتبادل بين قضايا الوطنية المغربية من جهة وبين الجمهوريين الإسبان من جهة أخرى، هو ما سيؤدي إلى بروز مسارين نضاليين متوازيين، لم يكتب لهما الالتقاء إلا في نقط قليلة.

4- « **Emigración, política y culturaespañola en Marruecos, de 1956 a 1992**», in Víctor Morales Lezcano (ed)., Presencia cultural de España en el Maghreb, ed. MAPFRE, Collection Maghreb, Madrid, 1993, pp. 145-168.

ويشهد على صحة ما سبق تعليق لـ "خوسيه مونوزكونغوست" (Munoz José Congost)، - وهو متمرد إسباني كان منفيا في المغرب - سنة 1956، عقب الإعلان عن الاستقلال:

«شاركت في المسيرة الشعبية لعمال المناجم في أزقة خريبكة [...] برفقة إسباني آخر، محاسب الشركة، ولاجئ ومناضل ضمن الكونفدرالية الوطنية للشغل (CNT)، انضممنا إلى استعراض الفرحة هذا الذي يعبر الأزقة؛عدد قليل جدا، من ظلال الأوربيين، كما لو أن الحدث قد ابتلعهم.»[5]

من الواضح إذن أن عملية استقلال المغرب، لم يبالي بها معظم الأوربيين، مادامت لم تضايقهم، بما في ذلك حتى بعض الأوساط التقدمية.

سبر غور الجالية المنفية في المغرب

خلال سنوات الستينيات، عاش الجمهوريون الإسبان المنفيون في المغرب، شيوعيون واشتراكيون أو «نقابيون ضمن الكونفدرالية الوطنية للشغل» على أمل العودة الى وطنهم، لم تكن علاقاتهم وارتباطهم بواقع البلد المضيف مثينة أو جيدة، كما هو الحال بالنسبة لـ "أوغستين غوميز" (Agustin Gómez)، «ممثل غير رسمي في المغرب للجمهورية الإسبانية بالمنفى»، والذي نحتفظ له بمراسلة خلال الستينيات مع "لويس خيمينيز دو أسوا" (Luis Jiménez de Asúa) رئيس هذه الحكومة المنفي ببوينس آيرس[6]. نهاية كل سنة تقريبا أو خلال حوالي 14 أبريل، تاريخ ذكرى تأسيس الجمهورية، حيث تتكرر نفس الترحيبات المهذبة و «الخطابية»، بعيدا عن الدار البيضاء حيث مكتب محامينا "أوغستين غوميز":«باسم هذه التمثيلية، وباسم المواطنين الجمهوريين، وباسمي الشخصي، يشرفني أن أقدم لسعادتكم خالص

[5]- MuñozCongost J., "**Portierras de Moros. El exilioespañol en el Maghreb**", ed. Madre Tierra, Móstoles, Madrid, 1989, p. 277.

[6]- مؤسسة بابلو اغليسياس، ALJA-410-4، مراسلات XII-1962 الى XII-1969.

متمنياتنا للسنة القادمة..، إنها لتحرير وطننا حينما نعود تحت راية الجمهورية المجيدة، بفخر وكرامة بعد استكمالنا لواجبنا كإسبان وكجمهوريين»[7].

وهكذا، نجد إشارة موجزة الى مغربي، مثل عبد اللطيف بومهدي الطنجاوي، سكرتير السفارة المغربية في بيونس آيرس، «صديق جيّد ومتعاطف»[8].

بالطبع، كانت هناك اتصالات بين المنفيين الإسبان والوطنيين التقدميين المغاربة؛ ضمن تقارير «الشرطة القنصلية» المحفوظة في أرشيفات وزارة الشؤون الخارجية، نجد إشارة، على سبيل المثال، إلى أنشطة المحامي "خوسيه بارادا سانشيز" (José PargadaSánchez)، رئيس الحزب الاشتراكي العمالي الإسباني (PSOE) بطنجة، «بالاعتماد على شخص موثوق به كان قد آواه بالعنوان التالي:77، rue de Vignes»، حيث المنزل الذي كانت تُعقد فيه الاجتماعات السياسية والذي تلقى «تعليمات من المركز في فرنسا لكي يحافظ على اتصالات وثيقة بالاتحاد المغربي للشغل (UMT)»[9].

بطريقة مماثلة، كان يوجد هناك تصريحات لمختلف المنظمات السياسية الممثلة داخل المغرب حول قضايا تخص امتداد السيطرة الفرانكوية إلى بعض الأراضي التي يطالب بها الوطنيون المغاربيون. كما هو الحال بالنسبة للبيان الموزع من طرف الكونفدرالية الوطنية للشغل (CNT) سنة 1962، والذي أشار إلى حقيقة أنه في الوقت الذي كانت فيه الشعوب المستعمرة تسعى إلى استعادة حريتها، كانت «ديكتاتورية فرانكو المستبد، تغفل عن المتطلبات الحالية، وتحتج ضد كل حق تاريخي من شأنه إعادة المناطق المحتلة إلى المغرب». وتختم هذه الوثيقة بـ: «هذا هو السبب وراء

[7]- نفس المصدر، رسالة 29 دجنبر 1962.
[8]- نفسه، رسالة 10 ماي 1964. توجد في الرسالة، التي كتبها على الارجح "لويس خيمينيز دو أسوا" (Jiménez de Asúa)، حاشية برقم هاتف السفارة المغربية في الارجنتين.
[9]- أرشيف وزارة الشؤون الخارجية (AMAE)، مدريد، برقية القنصل الاسباني في طنجة "ج.-م. بيرميخو" (J.-M. Bermejo) بتاريخ 2 فبراير 1961، الحزمة R.6749-5.

استقبالنا بفرح لليوم الذي تحرر فيه ويعاد إدماج المناطق الخاضعة للطموحات الفرانكوية، بشكل ظالم، إلى المغرب»[10].

مرة أخرى، وبتاريخ 5 يناير 1961، خلال انعقاد بمؤتمر رؤساء الدول الإفريقية، في الدار البيضاء ، أرسل "كريستوفر مورينو" (Cristóbal Moreno) و"سانتوس كاسترو" (Santos Castro)، اللذَان كانا يسيّران منذ سنوات الخمسينيات المركز الإسباني الذي أشرت اليه (والذي سيتم إغلاقه من طرف السلطات المغربية نتيجة لضغط السلطات الإسبانية)، برقية تهنئة الى المؤتمر معبرين عن «روح تضامن الجالية الديمقراطية الإسبانية بالدار البيضاء للنضال ضد تصفية النظام الاستعماري...»، ولدعم «الوحدة الترابية للمغرب»، والاحتجاج ضد «التجارب الذرية المتكررة على الأراضي المغربية (الصحراء)» كما وجهوا تحية لـ «بطولة الشعب الجزائري»[11].

المهدي بن بركة من خلال الأرشيف الإسباني

خلال البحوث التي ركزت على الروابط التي جمعت بين اليسار المغربي وبين نظيره الإسباني، عثرت في أرشيفات كل من الحزب الشيوعي الإسباني ومؤسسة بابلو اغليسياس على المراسلات الرسمية والخاصة، المبعوثة من المجموعات المناضلة بإفريقيا الشمالية؛ أثناء المرحلة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية مباشرة، ورغم قلتها، تستحق هذه الوثائق دراسة جد معمقة، لقد سمح لي هذا «الانغماس» في أرشيفات وزارة الشؤون الخارجية، في الواقع، بالعثور على كتابات حول المهدي بن بركة، ترجع أهميتها بالأساس إلى إجماعها حول الصورة «الأسطورية»، التي تشبه

[10]- مقتطف من بيان تم توزيعه في اسبانيا من طرف الكونفدرالية الوطنية للشغل (CNT)، أ.و.ش.خ، الحزمة رقم R.6929-20: «موقف الحمر تجاه المطالب المغربية» رغم انتماءه الواضح ضمن خانة السجلات الفوضوية، فان السجل الذي وضع فيه هذا البيان يرتبط ب «الدعاية الشيوعية»، التي تعتبر ككبش فداء حقيقي للفرانكوية.

[11]- وقد أرسلت نسخة من هذه البرقية الى الوزير بواسطة السفير الاسباني "كريستوفر مورينو" (Cristóbal Moreno) ضمن البرقية المؤرخة في 20 يناير 1961، حيث تمت الإشارة الى المركز، كـ«جزء من تكتل ناشط، والذي يتحرك خارج الحدود الاسبانية ضد نظامنا الحاكم، بمباركة من بعض الجماعات و السلطات السياسية». انظر أرشيف وزارة الشؤون الخارجية، الحزمة رقم R.6546-10 (نشاطات المركز الاسباني (الأحمر) بالدار البيضاء)

الصورة التي يحظى بها رجال السياسة والجيش ورجال الرقابة والديبلوماسيون الفرانكويون، الشخصية التي قدمت في نفس الوقت على أنها عنصر خطير على المصالح والاستقرار في إسبانيا الرسمية. والغريب في الأمر، أنه يتحلى بانتماء إلى مذهب اجنبي عنه: فتوجس الفرانكوية المناهض للشيوعية، بسّط الأمر، وجعل منه أحد عملاء موسكو الغامضين والمركبين.

واحدة من أولى الإشارات الى ابن بركة توجد في برقية القنصل الإسباني بطنجة، مؤرخة في 24 غشت 1957، والتي تحمل تقريرا حول السخط الداخلي في حزب الاستقلال، هذا وفقا لمخبر مغربي مقتنع بضرورة الاتجاه نحو الهيمنة على النقابات. هناك ثورة يجب القيام بها، كما قيل، وهي «من واجب الحزب، لتجنب خروج النقابات عن السيطرة من طرف الشعب»، وهذا ما كتبه القنصل في تقريره:

«وفقا للرأي السائد، فإن المنظم الأول للمعارضة هو المهدي بن بركة، الرئيس الحالي للمجلس الاستشاري، والذي يُعتبر منذ فترة طويلة العنصر الذي يستحق التفكير والاهتمام الكبير ضمن حزب الاستقلال، بسبب الطابع المتميز للغاية والقوي لشخصيته، ... ونذكر كذلك أن هناك بعض أعضاء حزب الاستقلال، الذين يعتبرونه بالفعل زعيما محتملا للحزب [...]. داخل العديد من الأوساط، تشير التقديرات إلى أن ابن بركة على المستوى السياسي أكثر راديكالية من علال الفاسي؛ يعتبر كإنسان صلب ونشيط، ولا أحد يشك بأن عمله على رأس الحزب سوف يجلب ابتكارات كبرى ونتائج ملموسة، لأنه، كما يقال، صاحب الفكر العملي البارز، يعمل بشكل فعال للغاية ولديه ذكاء ظاهر جدا»[12].

ومع ذلك، فإن التقييمات حول شخصية ابن بركة من خلال المراسلات القنصلية ليست كلها «إيجابية»؛ بدون شك، فإن شخصية القناصل وإيديولوجياتهم تظهر واضحة في برقياتهم، في نهاية المؤتمر الثالث للاتحاد الوطني لطلبة المغرب

[12]- أ.و.ش.خ، الحزمة رقم 18-4548. برقية 632

(UNEM) بتطوان، ما بين 25 و31 يوليوز 1958، أظهر القنصل "سانتياغو سانغرو" (Santiago Sangro) هذا الطابع الشبابي للمؤتمر على أنه «نذير بما سيحدث في هذا البلد (المغرب)، في حالة ما تم منح الحريات المدنية»[13]. وأضاف:

« ومن الأعراض التي يعكسها (المؤتمر) بدقة، الوضع السياسي الراهن وهشاشة حكومة بلافريج، التي تفقد المزيد ثم المزيد من دعم الأحزاب السياسية ودعم الرأي العام، والموقف العدائي الذي وجه له منذ 11 ماي، تاريخ التأسيس، من طرف الاتحاد المغربي للشغل، واستمرار الأزمة الداخلية لحزب الاستقلال مع شدة الاحتجاجات اليسارية وحضور رئيس المجلس الاستشاري ابن بركة (كذا)، - خلال مناسبتين: يومي الافتتاح والاختتام- الذي حاول دون جدوى توجيه الطلبة المنزلقين في المنحدر الشيوعي».

ابن بركة والمؤتمر الثالث للاتحاد الوطني لطلبة المغرب

كان الهاجس المشترك لدى العديد من الضباط الفرانكويين، هو رؤية الشيوعية كمفتاح للعملية الراديكالية السياسية المغربية، فقد كانت سمة العصر، حيث تم ربط كل «معارضة سياسية»، داخل إسبانيا، بالحزب الشيوعي، الذي كان في نفس السنة 1958، قد دعا إلى «يوم مصالحة وطني» ترك صدى كبيرا في الجالية الإسبانية في المغرب[14]. ومن بين الأمور الأخرى، المهام التي كانت تقع على عاتق الدبلوماسيين الإسبان لمراقبة الجالية الإسبانية في المنفى، حسب ما تبرهن عليه الوثائق الدبلوماسية والقنصلية في ذلك الوقت[15].

---

[13]- نفس المصدر.

[14]- أرسل القنصل الاسباني في تطوان كراسة المركز الاسباني بالدار البيضاء الى مدريد، بتاريخ 25 ماي ...، و التيتم جمعها من طرف الشرطة المغربية من على ميدان سباق الخيل و من حي مالقة (Barrio de Málaga)، انظر أ.و.ش.خ، الملف رقم 39-5980

[15]- «... يراقبون عن كثب و يمكننا تأكيد القول، في هذه اللحظة، على ان أنشطتهم ليست بمهمة»، حسب ما تأكده برقية قنصل طنجة المؤرخة في 20 فبراير 1962 (الحزمة 5-6749)، بخصوص المقر المفترض للحزب الشيوعي، شارع الأوروغواي بطنجة، في مكتب لـ"السفر الدولي" «ViajesInternacionales».

في المغرب، يشعر الشمال بالاستياء تجاه الرباط، بسبب سياستها لاحتواء المنطقة المستعمرة من طرف الإسبان، حيث أطلق فرانكو العنان للوطنية لكي تعمل بكامل الحرية. كما يتضح على وجه الخصوص، في ابتلاع حزب الإصلاح لعبد الخالق الطريس، من طرف حزب الاستقلال[16]، الشيء الذي ترك لدى المقاطعات الشمالية، خاصة منها تطوان، شعورا قويا بالإحباط. وخلال غشت 1958، تعالت أصوات داخل هذه المنطقة، مفادها أن الطريس تم اعتقاله بعد عودته من القاهرة، حيث كان قد انتقل إليها في مهمة سفير، بتهمة تهريب السلاح إلى بني عروس في الريف، وتهمة العلاقة بمشروع تشكيل حزب ذو نزعة ناصرية[17].

وخلال يوم 31 يوليوز، مستغلا لإقامته في تطوان لحضور مؤتمر الاتحاد الوطني لطلبة المغرب، ألقى ابن بركة خطابا حول الوضعية السياسية في المغرب، بمقر حزب الاستقلال في المدينة؛ أفاد القنصل الإسباني بالقول:

«يعترف ابن بركة بوجود ثورة كامنة، والتي يعرِّفها كمرض خطير في البلاد، وجبت معالجته، ويدعو إلى الوحدة الوطنية بالاعتماد على قاعدة للحكم من شأنها ان تنبني على ثلاثة ركائز، حزب الاستقلال، القوات الملكية المسلحة، الشرطة [...] هيجان شعوره الوطني لا يمكن ان يبرر الكلمات التي تلفظ بها تكريما لمستمعيه: «هو حزب الاستقلال وجيش التحرير من ينبغي له الاستقلال؛... لا بد للإسبانية والفرنسية أن يصبحا لغتين هامشيتين؛ وخلال سنتين أو ثلاثة، بعد ذلك، لن تُسمع إلا لغة الوطن»...، ويتجلى الفشل التام للمتحدث من خلال انفجار الضحك الذي رافق استقبال المناضلين لعباراته».

16- حول شخصية الطريس، انظر حاجيوغرافيا جون وولف، "**المغرب: الحقيقة حول الحماية الفرنسية الاسبانية. ملحمة عبد الخالق الطريس**".
Maroc : La vérité sur le Protectorat franco-espagnol. L'épopée d'Abd-el-Khalek Torres", Casablanca-Paris, Eddif-Baland, 1994."

17- أ.و.ش.خ، «أحزاب سياسية في المغرب». الحزمة 18-5046. برقية قنصل الناظور رقم 177، المؤرخة ب 23 غشت 1958.

كانت التعليقات الشخصية للقنصل حاسمة: «كان هناك ضحكات، ازدراء، وفشل كلي للمتحدث، وخلاصة القول إخفاق تام». وبطبيعة الحال فقد تميز تقييمه السياسي بمناهضة الشيوعية مما دفعه إلى تشويه هذا «المؤتمر ذو الألوان الشيوعية» والإشارة إلى ألاعيب الشيوعية الدولية:

«الديناميت جاهز بالفعل، وخطر الانفجار كبير [...]. في المغرب، تبرز بشكل غير متوقع البراعم الأولى لجمهوريين ذوي طابع يساري، ونحن نعلم أن هذا البلد ليس في وسعه تحمل ترف الحريات المدنية [...]. اندلاع هذا الجو من الاضطرابات تم استقباله بطريقة طبيعية، وبأقصى حد من موافقة الحزب الشيوعي المغربي، الذي يراقب أزمة حزب الاستقلال عن كثب. الدكتور مسواك، الزعيم الشيوعي، أجرى اتصالات مع وزير الشغل في حكومة إبراهيم، هنا حيث علينا أن نرى المصدر والملهم للعديد من الاقتراحات».

في هذه التقارير، يضيف القنصل إلى الترجمة الإسبانية، التقرير الكامل للمؤتمر، وكذلك المذكرة النهائية، المذكرة التي ستواجه صعوبات عند نشرها بسبب طابعها الراديكالي.

ابن بركة لاجئ سياسي في مليلية؟

حادثة تستحق أن تذكر دون شك، وهي المتعلقة بالشائعات المثيرة للقلق بين الأوساط الرسمية الإسبانية، حول حالة الطوارئ المفترضة في المغرب، الحادثة التي تم تحميل المهدي بن بركة مسؤوليتها.

خلال فبراير 1959، أرسلت الإدارة العامة للسياسة الخارجية الإسبانية «مذكرة إخبارية» إلى بعثاتها الديبلوماسية تحت عنوان: «حملة مغربية ضد الإسبان بمناسبة أحداث الريف»، وذلك لمواجهة الشائعة الواسعة الانتشار، والتي مفادها أن إسبانيا تدعم التمرد في الريف، حسب ما أُبلِغ به سفير إسبانيا من قبل رئيس الوزراء

شخصيا، عبد الله إبراهيم. وتُدخل المذكرة ضمن الاعتبارات الخصوصية الأمازيغية لهذه المنطقة؛ هذه المذكرة تشير إلى تشكل حركة شعبية، وتلمح إلى التمرد في الريف وكذلك إلى الاتهامات الموجهة من قِبَل يومية الاستقلال (في مقال بعنوان: "المؤامرة"، بتاريخ 24 أكتوبر 1958) ضد إسبانيا والتي تذهب الى حد استهداف ولي العهد شخصيا، الذي لمح إلى المشاركة الإسبانية في هذا الصراع، خلال مؤتمر صحفي بتاريخ 9 يناير 1959 بالرباط. وبالإضافة إلى ذلك، فإن «المذكرة» تحتوي على سلسلة من الحجج الرامية إلى التغلب على لحظة صعبة في العلاقات الإسبانية المغربية.

كان هذا هو المناخ السياسي الذي أدى إلى الحماسة الزائدة التي كانت، بدون شك، وراء الحادثة التي لا يمكن وصفها إلا بالاعتباطية. وهذا هو التسلسل الزمني للأحداث:

1- خلال يوم 12 شتنبر 1959، على الساعة العاشرة والنصف مساء، بعث قنصل تطوان بإشارة لاسلكية على موجات راديو الحرس المدني (la Guardia Civil)، يردد صدى الوضعية المثيرة للقلق «داخل منطقة الشمال، التي تحمل مشاعر الضغينة تجاه ولي العهد بسبب القمع الوحشي للريف، يمكن لحزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية أن يشكل خطرا على التاج...».

2- يحتوي ملف «الانقلاب في المغرب»[18] على مختلف البرقيات المنقولة عبر الهاتف إلى القيادة العليا عن طريق سبتة وأماكن أخرى، وخلال يوم 13 شتنبر على الساعة الواحدة وأربعين دقيقة صباحا، أخبرت بأن السلطة في المغرب ما تزال بين يدي ولي العهد، وكذلك بإمكانية تشكيل حكومة يترأسها علال الفاسي... تأثر كبير داخل وزارة الشؤون الخارجية وكذلك في قصر برادو (palais du Prado).

[18]- أ.و.ش.خ، الحزمة 7-5434.

3- تتزامن هذه الاخبار مع التقرير الشخصي مقيد الانتشار للسفير الإسباني في الرباط، "كريستوبال ديل كاستيلو" (Cristóbaldel Castillo)، الموجه بتاريخ 13 شتنبر إلى وزير الشؤون الخارجية، "فيرناندو م. كاستييلا" (Fernando M. Castiella)، والذي يتضمن المعلومات التالية:

«في مواجهة النزعات التطرفية المعبر عنها من خلال مجموعة ابن بركة، ومن خلال المؤتمر الطلابي الذي عُقد مؤخرا في أغادير، يبدو أن الملك قد استجاب بحيوية، أولا بتقديم مسؤولي المؤتمر الطلابي أمام المحكمة بتهمة «سب الجيش»، وثانيا - وهو ما أعتبره ذو أهمية كبرى- بمبادرة منه، قام بإعداد ظهير يهدف إلى حظر إنشاء واشتغال حزب شيوعي في المغرب، لم يخرج بعد هذا القرار إلى العموم، لكن رئيس الحكومة، الذي حتى يوم أمس لم يستطع إخفاء مزاجه السيء والمتضارب، لم يجرؤ على إنكار وجود ترتيبات الحظر واكتفى بابتسامة ساخرة ومريرة إلى حد ما أمام سياسة معارضة للتوجهات الاشتراكية لجزء من الحكومة، وكذلك لفريق ابن بركة المشار اليه اعلاه [...] هناك تنبؤ بمجلس حكومي مصغر برئاسة البكاي [...]. توقيع: كاستيلو»

4ـ في مدريد، يتم تفسير كل هذه الأخبار بطريقة مروعة، ووزير الشؤون الخارجية يطلب من سفيره في الرباط المزيد من المعلومات، على وجه السرعة، عبر برقية عاجلة ومشفرة، هذا نصها:

« DVEP الخاص بكم 376 والمعلومات المتعلقة بـ «الانقلاب» الحاصل في تطوان، والتي نقلتها القيادة العامة العليا فورا إلى سعادة رئيس الدولة. المرجو VE تأكيد الكلام لي. توقيع: كاستيلا»[19]

[19]- أ.و.ش.خ، تشفير 180 ردا على 376. ضمن الملف السابق الذكر.

5- تلقى الوزير نفسه رسالة موجهة إلى وزارة الدفاع من طرف المدير العام لـ "PlazasAfricanas" الذي يرسل إليه الأخبار المرفوعة إليه من طرف أجهزته المخابراتية:

«في فجر هذا اليوم، تلقينا معلومات رسمية والتي أنقلها إلى VE:

«في الرباط، أمسك ولي العهد وعلال الفاسي بزمام السلطة. ووفقا للأخبار الواردة من الناظور، يبدو أن ابن بركة وزعماء آخرون لجأوا إلى مليلية [...] التشكيل الأخير لحزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، ذو توجه شبيه بتوجه الجبهة الشعبية، على اعتبار أنه يدمج كل التيارات اليسارية من الليبيرالي الى الشيوعي، مرورا بالخصوص عبر النقابات، أنشأ جوا ملائما للانقلاب»

6- تحت عبارة «عاجل جدا»، كتب المدير العام للمحافظات والمقاطعات الإفريقية إلى نائب وزير رئاسة الحكومة لإخباره، وكذلك إلى وزير الشؤون الخارجية:

«تم إخبارنا بأنه بعد ظهر اليوم، على الساعة الرابعة، وصل الزعيم السياسي ابن بركة أمس إلى مليلية، على ما يبدو كلاجئ».

7- خلال اليوم الموالي، 14 شتنبر، من خلال اتصال سري للمدير العام للمحافظات والمقاطعات الإفريقية، موجه إلى نائب سكرتير الوزير، هذه الأخبار الخفية سيلقى عليها القليل من الضوء:

« وفقا لمعلومات موثوقة، فإن ابن بركة وصل أمس إلى مليلية وبعد إقامة قصيرة، استغلها لتناول وجبة الغذاء، عاد إلى المغرب، وليس من الواضح ما إذا كان له أي نشاط سياسي خلال إقامته في مليلية».

وتم التشديد على أنه «لا يبدو أن المعلومات المتعلقة بالانقلاب مؤكدة»، لكنه من الصحيح أن المخبِر كان بمثابة صدى لتضارب الأخبار السائدة، والأحداث التي كانت تُصاغ»

8- وفي نفس اليوم، أوضح السفير بعض النقط، التي تبيّن في الأخير انه سوء فهم:

«الأخبار المثيرة للقلق التي يبدو أنـه تـم جمعهـا مـن قبـل قسـم سـري، ثـم نقلت عبـر عقول بسيطة أكثر من اللازم، استنادا إلى واقعتين ملموستين: إحداهما، حقيقة أن ابن بركة قد دخل الى مليلية، لمقابلة ولتناول وجبة الغذاء رفقة شخص لا أعرف اسمه، والأخرى أن القايد نفاس (كذا) مجهد، الذي كان مرفقا بعائلته، وبأحد قدماء «المقاومين» يدعى "الجيلالي" (كذا)، والذي كان يتبعه في سيارة أخرى، تم اعتقالهم من قبل الشرطة. وبصرف النظر عن هذه الوقائع، وعن التزام ابن بركة بإخلاء الإقامة الرسمية التي كانت تحت تصرفه كرئيس للمجلس الاستشاري، لا أظن بأنه حدث كأي حدث آخر يستحق الذكر. الشائعات المثيرة للقلق، التي يمكن بدون شك نسبها إلى بعض الحماس في الإخبار بحسن نية، لكنها مفرطة، ويبدو لي أنه مبالغ فيها جدا، ويمكن أن نخلص إلى أن مضمون هذه المعلومات لا يحتمل في هذه اللحظة، طابع الخطورة الذي أضفي عليه. لا أعتقد أنه في الوقت الراهن، يمكن ان يحدث أي شيء آخر، لأنه لا وجود لقوة متماسكة ولا لرجال الفعل، لكنها فقط كتلة فلاحين ذوو روح ابتكارية، نواة عمالية صغيرة دون أهمية تذكر داخل المدن، ومجموعة من السياسيين التائهين، الذين لا يعرفون إلى أين هم ذاهبون وما الذي يريدون، والذين لا يمكن أن يؤخذوا على محمل الجد. توقيع، كاستيلو»

مما لا شك فيه، أن هذا التقرير بمثابة خطاطة للوضعية في المغرب، وتقييم اختزالي للدور الذي لعبه ابن بركة. هذا ليس التعليق الوحيد للسفير "كريستوفر ديل كاستيلو" الذي يمشي في هذا الاتجاه؛ في برقيته المؤرخة ب 10 نونبر 1958، بشأن افتتاح المجلس الاستشاري، الذي يرأسه ابن بركة، يعكس انخفاض الأصوات التي حققها لغرض تنصيبه، كـ «إشارة جديدة على عدم الرضا، وعلى عدم وجود اتجاه سياسي سائد في هذه البلاد...»[20].

[20]- أ.و.ش.خ، الحزمة 52-R.5045.

على العكس من هذا التقييم السلبي، كتب "جون لاكوتور" (Lacouture Jean) في مقال له بصحيفة "لوموند" (Le Monde)، حول تعيين عبد الله إبراهيم كرئيس للحكومة، حيث وصف هذا الاتجاه السياسي بـ «الديناميكية»[21].

التعتيم على صورة المهدي بن بركة أثناء منفاه، في الأرشيف الإسباني

خلال سنتي منفاه الاختياري، شخصية ابن بركة، على اعتبار أنها الشخصية المركزية في الانقلاب والاضطراب داخل المغرب، اختفت من التوثيق الإسباني؛ لكنها ظهرت ثانية بعد مشروع إنشاء مكتب للاتحاد الوطني للقوات الشعبية في مدريد، «مشابه للذي في جنيف وباريس»، خبر غير مؤكد[22].

لا يزال الاتحاد الوطني للقوات الشعبية محط تركيز المخابرات الإسبانية، كما يتضح من التقرير «المفيد» للملازم كولونيل "مارتينيز" (Martínez)، الملحق العسكري بسفارة الرباط:

«من الآن فصاعدا، فإن مهمة الاتحاد الوطني للقوات الشعبية ستكون هي زرع العراقيل في طريق أي اتفاق ما بين الحكومة المستقبلية في الجزائر العاصمة، وكذلك تونس العاصمة والنظام الملكي المغربي، الذي هو في محادثات مع الجزائريين والتونسيين، والذي يتم اعتباره على أنه العقبة الوحيدة أمام التجانس السياسي لمغارب المستقبل. سفر عبد الرحمان اليوسفي- الرحلة التي هي أيضا جزء من مناورة عزل الحسن الثاني، تمثل مقابل الدين الذي كان في ذمة الحزب الدستوري التونسي الجديد لصالح الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، عن الدور الذي لعبه أثناء تأزم العلاقات ما

---

[21]- « حكومة إبراهيم تتشاور حول أولوية الوضع في الريف»، جريدة "لوموند" Le Monde، 26 دجنبر 1958. قبل هذا التعيين المحفوف بالمخاطر من طرف محمد الخامس، طرح "جون لاكوتور" السؤال التالي: «هل هو عملية تكتيكية بسيطة، والتي خلال وضعية صعبة تعتزم استخدام اليسار بغرض تحطيمه في مواجهة صلابةانشقاقروي؟ أو انه اختيار سياسي – ماعدا اذا كان تحولا للعرش الشريف نحو الاشتراكية -، أو على الأقل تعاون محدود في الزمن، لكنه منصف، مع «الديناميكيات»»، على عكس ما يمكن تصوره اليوم، فإن جون لاكوتور اختار الفرضية الثانية.

[22]- أ.و.ش.خ، تقرير حول « إمكانية انشاء المهدي بن بركة، الأمين العام للاتحاد الوطني للقوات الشعبية» لمكتب سياسي في مدريد؛ برقية المستشار المكلف بالأشغال في الرباط "رامون دو لا ريفا" Ramón de la Riva، بتاريخ 11 غشت 1961، الحزمة R.6530-43

بين تونس والمغرب. خلال دعمه للمعارضة المغربية، لم يعتبرها بورقيبة إلا مجرد ورقة رابحة لصد الأصوات المتنافرة المحتملة مستقبلا لملك المغرب»[23].

بعد بضعة أشهر، أشارت برقية من القنصل في طنجة، "ج. ـم. بيرميخو" (.J.-M Bermejo)، إلى المعلومات المتعلقة بما تلقاه المهدي بن بركة من «ضمانات بإمكانية العودة إلى المغرب، دون خوف من التعرض لأي نوع من الاضطهاد»[24] بعد التعليق على البرودة التي أبداها بن بلة تجاه المغرب الرسمي أثناء زيارته، وكيف طلب الإذن بالانسحاب من السلطات عن طريق برقية، وخلص إلى:

« فيما يتعلق بالمهدي بن بركة، رئيس الاتحاد الوطني للقوات الشعبية [...]، فقد تردد مع القليل من التأكيد بأنه لن يعود إلى المغرب فقط، بل سيتم تكليفه بتشكيل حكومة جديدة... ويمكن القول اليوم، إنه كان لدى الحسن الثاني، في وقت سابق، نوايا مماثلة، لكننا لا نعتقد ذلك بالنسبة للوقت الحالي، مع المنحى الجديد الذي أعطاه لسياسته، هذه هي الحالة، بل سيُبقي في الحكم فريقا كله من المحافظين»[25].

مؤتمر القارات الثلاث، من منظور إسبانيا

في وقت لاحق، لم تُتضمن الوثائق الرسمية الإسبانية سوى القليل من الإشارات إلى هذه الشخصية الوطنية المغربية، بالتأكيد، يمكن إيجاد تقارير حول مؤتمر الاتحاد الوطني للقوات الشعبية في مراكش، بمشاركة ممثلين عن الصحراء، وموريتانيا، وسبتة ومليلية، مما تسبب في ذهول الأوساط الإسبانية[26]؛ حول المحادثات التي أجراها رضا أكديرة مع ابن بركة وعبد الرحيم بوعبيد في فرنسا؛ حول رحلته إلى

[23]- أ.و.ش.خ، تقرير ملحق بالبرقية رقم 1297، بتاريخ 25 أكتوبر 1961، الحزمة R.6748-2.
[24]- أ.و.ش.خ، برقية بتاريخ 12 ماي 1962. الحزمة R.6749-5
[25]- نفس المصدر.
[26]- أ.و.ش.خ، ملف «أحزاب سياسية في المغرب»، مرسلة من طرف "رامون دو لا ريفا" Ramón de la Riva، الحزمة (1962) R.6907-64.

موسكو[27]؛ وحول تشكيل «جبهة شعبية»، ضد الاستفتاء على الدستور[28]؛ يتم الحديث عن تراجع الاتحاد الوطني للقوات الشعبية في الانتخابات العامة لسنة 1963، فضلا عن انخفاض شعبية زعمائه[29]؛ وكان يتم تجميع قصاصات الصحف المتعلقة بمحاكمة بن بركة ورفاقه بتهمة التآمر من مختلف البلاد.

لكن شيئا فشيئا يُفقد أثر ابن بركة، على اعتبار أن الجيش الإسباني أخلى شمال المغرب، وأن هذه البلاد باتت بعيدة عن التصور الإسباني.

وتعود شخصية ابن بركة للظهور من جديد بعد تنظيم مؤتمر القارات الثلاث؛ ستعرّف المفوضية الإسبانية في هافانا، مع الكثير من التفاصيل وقصاصات الصحف، بزيارة «الزعيم الثوري المغربي» إلى العاصمة الكوبية، يوم 26 شتنبر 1965. وجمعت تصريحات ابن بركة، الذي أعلن بأنه في المؤتمر ستكون هناك تمثيلية لتياري الثورة العالمية: «التيار الشيوعي والتيار المناهض للإمبريالية من أجل التحرير الوطني. ويسلط الضوء على تصريحاته المنددة بالترخيص الممنوح من طرف كونغرس الولايات المتحدة، بالتدخل في نصف الكرة الأرضية و أكد بأن: «مجرد الموافقة على قرار كهذا، يستحق أن نعقد له أول نسخة من مؤتمر القارات الثلاث»[30].

تبعا للإشارات المجمعة من طرف الصحافة، مع غياب المهدي بن بركة «على نحو غير منتظر» حسب بيان لوكالة فرانس بريس (AFP). رأت إسبانيا الرسمية في المؤتمر «خطة لخلق الصعوبات أمام إسبانيا فيما يخص المقاطعات الإفريقية، بما فيها

---

[27]- البرقية رقم 1131 لـ"رامون دو لا ريفا" (Ramón de la Riva)، بتاريخ 21 شتنبر 1962.الحزمة R.6748-2. اقتباس مغرب-معلومات (Maroc-Informations)

[28]- تم وصفها بـ" جبهة المعارضة اليسارية الشيوعية"، برقية رقم 1459 لـ"رامون دو لا ريفا" Ramón de la Riva، بتاريخ 14 دجنبر 1962. الحزمة .R.6748-2

[29]- ملف «انتخابات عامة في المغرب»، برقية رقم 498، بتاريخ 9 ماي 1963، للمكلف بالاشغال "خيمينز-أرنو" (Giménez-Arnau)، الحزمة R.7228-24.

[30]- برقية "باتريسيوآغيري دي كارسير" (Patricio Aguirre de Cárcer)، السفير في هافانا، أ.و.ش.خ، الحزمة R.8275-2، المجلدات الضخمة الثلاث حول المؤتمر، تلخص الملفات الصحفية لكل دول أمريكا اللاتينية.

الكناري»[31]، وتم تسليط الضوء على مؤامرات الشيوعيين الإسبان في هافانا، من أمثال "غونزاليس خيريز" (González Jerez) و"اتينزا" (Atienza) و"برانا" (Braña) و"كارنيرو" (Carnero)، داخل أروقة المؤتمر.

في نهاية المطاف، إسبانيا المقاومة لم تنتفض كذلك ضد اختطاف دنيء كهذا. في صفحات "El Socialista" (الاشتراكي) أو "MundoObrero" (عالم العمل)، الضرورة اليومية الملحة للنضال ضد الفرانكوية، أنست الحقائق العالمية الأقل إلحاحا. ظهر مؤتمر القارات الثلاث بشكل خافت في صفحات "El Socialista"، الجريدة العمومية للحزب الاشتراكي العمالي الإسباني (PSOE)، الذي كان مقره في فرنسا؛ وأما بالنسبة للمجلة التنظيرية للحزب الشيوعي، "Nuestra Bandera" (رايتنا)[32]، فبمجرد استلامها «مذكرة»، تهتم بانتقاد موقف الصين أكثر منه بالإبلاغ عن الفعل.

يعتبر غياب ابن بركة في الصحافة التقدمية الموزعة سرا في إسبانيا، مرة أخرى، كدليل على البعد والتجاهل المتبادل ما بين اليسارين، الإسباني والمغربي. مع ذلك فان ابن بركة لم يتم تجاهله. واحدة من دور النشر التقدمية، التي بدأت خلال ذلك الوقت بفتح ثغرة في الرقابة الفرانكوية بمساعدة حركة المثقفين بشجاعة متزايدة، ترجمت ونشرت كتابه: الاختيار الثوري في المغرب[33]، لذلك في وقت لاحق أصبح ابن بركة من بين شخصيات الأساطير السياسية التقدمية الإسبانية.

---

[31]- نفس المصدر، برقية 21 دجنبر 1965

[32]- العدد 47-48، فبراير-مارس 1966، ص 97-99.

[33]- Ediciones de Cultura Popular, Barcelone.